

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الخليفة وصار صديقاً ليزيد بن معاوية وتذوق الشعر العربي وتأثر به حتى استغله في تأليف أناشيده وتراتيله الكنسيّة. كما انه حصل على منصب أمين سر أو مستشار في البلاط. ولما أصدر الخليفة عمر الثاني (٧١٧-٧٢٠) قانوناً يمنع فيه المسيحيين من تسلم الوظائف في الدولة إذا لم يصيروا إسلاماً، تخلى يوحنا عن كل شيء دنيوي ولحق إيمانه الذي أرشده إلى دير القديس سابا في القدس حيث صار راهباً.

دافع يوحنا عن الإيمان القويم حتى قبل أن يصير راهباً. فعندما بدأت الحرب ضد

الأيقونات في أوائل القرن الثامن بدعم من الإمبراطور لاون الأيصوري (٧١٧-٧٤١) هبّ يوحنا مدافعاً عن إكرام الأيقونات فكتب الرسائل المدافعة عن الأيقونة وأرسلها إلى الشرق والغرب، وكان يوحنا ما يزال في دمشق الأموية. لم يستطع الإمبراطور النيل منه لأنه خارج حدود الإمبراطورية، لذا حاول أن يوقع بين يوحنا والخليفة الأموي عبر تزوير رسالة بخط مطابق لخط يوحنا وكأنها موجهة من يوحنا إلى لاون وفيها يطلب يوحنا مساعدة لاون ضد الخليفة. أرسل لاون هذه الرسالة

البار يوحنا الدمشقي

تعيّد الكنيسة المقدسة في الرابع من كانون الأول لتذكّار أبينا البار يوحنا الدمشقي الذي عاش في القرن السابع ناسكاً متخلياً عن كل عز وجاه كان لعائلته، وانصرف إلى الدفاع عن الإيمان القويم أمام محاربي الأيقونات، كما وضع نظام أنغام الموسيقى الكنسيّة والكثير من

التراتيل والأناشيد الكنسيّة.

هو منصور بن سرجون من قبيلة بني تغلب، وقد وُلد في دمشق لعائلة مسيحية، بين العامين ٦٥٥ و٦٦٠.

والده سرجون

كان زعيماً للمسيحيين في دمشق ووالياً لثلاثين سنة على ديوان المالية في زمن معاوية بن أبي سفيان الأموي. تتلمذ يوحنا على يد راهب من صقلية واسع المعرفة والإطلاع، اسمه قزما، كان والد يوحنا قد حرّره من يد قراصنة أتوا به إلى دمشق. فغاص يوحنا في الفلسفة اليونانية واستغلها كي يوضح الإيمان القويم.

في أوائل حياته، عاش يوحنا عيشة الأثرياء السهلة والبانخة. ونظراً لمكانة والده لدى البلاط الأموي، كان يوحنا يرتاد قصر

الرسالة

(أفسس ٦: ١٠-١٧)

يا إخوة تقوُّوا في الربِّ وفي عزّة قدرته* إلبسوا سلاح الله الكامل لتستطيعوا أن تقفوا ضدّ مكاييد إبليس* فإنّ مصارعتنا ليست ضدّ دم ولحم بل ضدّ الرئاسات ضدّ السلاطين ضدّ ولاة العالم عالم ظلمة هذا الدهر ضدّ أجناد الشرّ الروحية في السماويات* فلذلك احملوا سلاح الله الكامل لتستطيعوا المقاومة في اليوم الشرير حتى إذا تمّمتم كل شيء تثبّتون* فاثبّتوا إذا ممنطقين أحقاءكم بالحقّ ولا بسين درع البرّ* وأنعلوا أقدامكم باستعداد إنجيل السلام* واحملوا علاوة على كل ذلك ترس الإيمان الذي به تقدرّون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة* واتخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ٣٥-٤٣)

في ذلك الزمان فيما يسوع بالقرب من أريحا كان أعمى جالسا على الطريق يستعطي* فلما سمع الجمع مجتازا سأل ما هذا* فأخبر بأن يسوع الناصري* عابر* فصرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني* فزجره المتقدمون ليسكت فازداد صراخاً يا ابن داود ارحمني* فوقف يسوع وأمر أن يُقدّم إليه* فلما قرب سأل ما تريد أن أصنع لك. فقال يا رب أن أبصر* فقال له يسوع أبصر. إيمانك قد خلصك* وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجّد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله.

تأمل

«البسوا سلاح الله الكامل لتستطيعوا أن تقفوا ضدّ مكاييد إبليس» (أف ٦: ١١).

لم يقل ضدّ المحاربين في المعارك، بل قال «ضدّ مكائد إبليس»، لأن العدو لا يحاربنا ببساطة وبصورة علنية بل بمكائد. ماذا يقصد بكلمة «مكائد»؟ يعني بها التضليل، والهدف منها هو الهلاك الحاصل

إلى أن تراءت والدة الإله لمعلمه وطلبت منه أن يسمح ليوحنا بالكتابة لأن «يوحنا عتيدي أن يجمّل كنيسة المسيح بأقواله ويزين أعياد الشهداء وكافة القديسين بترنيماته الإلهية، لأن الروح المعزّي يجري على لسانه». في الصباح استدعى الشيخ يوحنا وسمح له أن يتكلم بالإلهيات ويكتب التسابيح. ومن حينها نرتل في الكنيسة التسابيح والتراتيل التي ألهم الله بها قديسه يوحنا.

استدعى البطريرك الأورشليمي يوحنا وسامه كاهناً رغم إرادته. فكان يوحنا يخرج من ديريه ليخدم المؤمنين والكنيسة ويعظ ويعلم في كنيسة القيامة ثم يعود إلى ديريه ليمارس النسك والزهد.

بقي القديس يوحنا ثلاثين سنة في دير القديس سابا لم يزر خلالها دمشق إلا مرة واحدة. رقد بالرب بسلام بين العامين ٧٤٩ و ٧٥٠ بعد أن أمضى شيخوخة صالحة مليئة بالقداسة والخدمة، وقد أغنى الكنيسة بالترانيم والتراتيل التي تنقل المؤمنين إلى السماء.

بقيت رفاته في دير القديس سابا إلى القرن الثاني عشر عندما نقلت إلى القسطنطينية لتوضع إلى جانب رفات القديسين يوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس اللاهوتي. أما يوحنا فقد أعلنت قداسته في المجمع المسكوني السابع عام ٧٨٧.

الصوم والإفخارستيا

يطرح عدد من المؤمنين سؤالا دائما عن وجوب أو عدم وجوب الصوم قبل المناولة المقدسة. سوف نحاول في ما يلي الإضاءة على جانب لاهوتي يعتبر أساسياً في ضرورة الإمتناع عن الأكل والشرب قبل التقدّم للشركة الإلهية المقدسة. حسب الأناجيل الإزائية، متى

المزورة إلى الخليفة الذي استدعى يوحنا. حاول يوحنا إقناع الخليفة بأن الرسالة مزورة لكنه لم يفلح، فأمر الخليفة بقطع يد يوحنا اليمنى وتعليقها في ساحة المدينة. استرد يوحنا يده بحيلة إنه يريد دفنها. دخل مخدعه وصلى أمام أيقونة والدة الإله طوال الليل حتى غفا. أثناء نومه ظهرت له والدة الإله قائلة: «ها ان يدك قد عوفيت الآن، فاجتهد أن تحقق ما وعدت به بدون تأخير». وكان يوحنا قد وعد بأن يكرّس يده اليمنى لكتابة التسابيح للرب. نهض من النوم واكتشف ان يده معافاة. بعد هذه العجيبه والضيق الحاصل للمسيحيين في دمشق وزع أمواله على الفقراء وقصد دير القديس سابا.

ظنّ رهبان الدير ان دعوة يوحنا النسكية هي مجرد نزوة لأنهم كانوا عارفين نسبه ومقدار علومه وثقافته. قبل أحد الرهبان المسنين أن يكون يوحنا تلميذاً له، وطلب من يوحنا أن يتخلّى عن علومه الدنيوية وينسأها ولا يعمل إلا ما يأمره هو به، وأن لا يرأسل أحداً ولا يكتب شيئاً. طبق يوحنا الوصية بأمانة وغيره وطاعة، حتى ان معلمه أرسله إلى دمشق رغم الأخطار ليبيع القفف بضعف ثمنها وذلك لكي يختبر طاعته. حمل يوحنا القفف الكثيرة، لكن الله كان يعرف قلبه النقي فأرسل راهبين عاوناه في الطريق إلى دمشق حيث باع بضاعته من بعض خدمه ممن كانوا له في العالم، عرفوه هم ولم يعرفهم. وحدث مرة ان طلب منه راهب شيخ أن ينظم طروبارية. رفض يوحنا، إلا انه لكثرة لجاجته باشر بالتأليف فسمع معلمه بالأمر فطرده. توسّط الكثيرون لدى المعلم لكي يعيده فرفض إلا إذا نظف مراحيض الرهبان، ففعل بكل تواضع وطاعة. بقي يوحنا لا يكتب فترة طويلة

بأساليب وفنون متنوعة، بالكلام وبالاعمال وبصرعات يتخذها من ينوي تضليلنا. هذا ما يقصده الشيطان. لا يظهر أبداً الخطايا علانية بوضوح ومباشرة. لا يسمي الوثنية مثلاً باسمها، بل يقدمها بطريقة أخرى مستخدماً طرقاتاً فنية. ربما تكلم ولكن مستخدماً تغطية لكلامه.

يحث الجنود منذ البداية لكي يكونوا صاحين، وذلك بتعليمهم بأن مصارعتنا هي مع كائنات مختبرة في الحروب، لا تحارب هكذا ببساطة ولا علانية، بل تستخدم أساليب وفنون كثيرة. حذرهم أولاً من طبيعة العدو ومن كثرتة.

وبعد أن سرد فنونه، هبأهم لكي يكونوا صاحين، إذ لم يرد أن يحد من عزمهم، بل أن يحذرهم وأن يحثهم. فلو اقتصر كلامه على سرد ما يتحلى به الأعداء من قوة، لكان قد حد من عزمهم. لكنه قبل ذلك وبعده يبرهن لهم أنه من الممكن أن يتغلب الواحد على العدو، وذلك يشجعهم أكثر على المصارعة.

فكلما عظم من شأن قوة الأعداء، كلما أشاد بجنوده الخاصين الصامدين

ومرقس ولوقا، فقد اتهم الفريسيون تلاميذ المسيح بأنهم لا يصومون فيما تلاميذ يوحنا المعمدان يصومون كثيراً. أجابهم الرب: «هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم. ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام» (مر ٢: ١٩-٢٠). هذا النص يبرز الارتباط بين الصوم وعمل المسيح المساني، ولا يمكننا الصوم ونحن نفرح بحضوره.

الصوم هو تعبير عن حالة انتظار وتوقع وتهيئة. فالرب يسوع يواجه بين ذاته وبين يوحنا المعمدان في قوله: «لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب. فيقولون فيه شيطان. جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب. فيقولون هوذا إنسان أكل وشرب خمر، محب للعشارين والخطاة» (متى ١١: ١٨-١٩). المعمدان في هذا الإطار هو صورة ورمز العهد القديم في علاقته مع العهد الجديد. العهد القديم هو زمن التهيئة والتوقع لمجيء المسيا المخلص وقد وصل إلى نهايته مع ظهور الرب. لكن ابن الإنسان، الرب، كان يأكل ويشرب وكذلك تلاميذه، وغالباً ما نراه في الأناجيل يكسر الخبز مع العشارين والخطاة ويكثر الخبز لألوف البشر. هذا لأنه في المسيح ومعه أتى الملكوت وظهر للجميع. وفي الرمزية الكتابية، فإن الملكوت غالباً ما يصور كمائدة، انتهاء صوم (مثلاً أشعيا ٢٥: ٦). فالرب، عند المنتهى في ملكوته، سوف يقيم مائدة يجلس حولها مختاروه وهو على رأس المائدة. هذا التعليم الكتابي حول الفحوى الخريستولوجي والمساني للصوم هو الذي يحدد مكانة الصوم ومهمته في الكنيسة منذ البدء. فمن جهة، الكنيسة هي صورة الملكوت المتوقع،

حيث العريس يتجلى في كسر الخبز، في المائدة الإفخارستية التي هي التحقيق المسبق الأسراري لكمال الملكوت المنتظر، المائدة المسبانية. في كتاب أعمال الرسل، «كسر الخبز» هو الحقيقة التي تبني الكنيسة، الجماعة المسبانية (اع ٢: ٤٢). في هذا الاجتماع، في هذه «الشركة»، لا مكان للصوم: الانتظار انتهى والرب حاضر. ومن جهة أخرى، مع صعود المسيح إلى السماء، برزت فترة انتظار جديدة: توقع مجيئه الثاني المجيد حيث تحقيق وكمال عمل التدبير الخلاصي، حيث سيصير الله الكل في الكل، أي تحقيق الملكوت. لقد انتصر الرب وتمجد والكون ينتظر كمال الأمور والدينونة. تاريخ العهد القديم موجه نحو مجيء المسيا (الأول)، في حين أن تاريخ العهد الجديد موجه نحو عودة الرب (مجيئه الثاني) بمجد ونهاية العالم. ما تؤمن به الكنيسة وتعتز به وتحياه أسرارياً سوف يصبح جلياً في نهاية هذا العالم. وطالما الكنيسة والمسيحيون في هذا العالم فهم يتوقعون وينتظرون هذا المجيء الثاني ويصلون ساهرين لأنهم لا يعلمون متى سيأتي ابن البشر. وهذا التوقع يعبر عنه في صوم جديد، في حالة انتظار جديدة.

هذا التوقع والتوق للملكوت يتحقق ويستجاب في سر الأسرار، في المائدة الإفخارستية حيث الرب حاضر بكلية من خلال الخبز والخمر المستحيلين إلى جسده ودمه الكريمين. رغم أنها ما زالت في الزمن، فإن الكنيسة تعلن ومنذ الآن انتصار الأبدية، مجد الملكوت الآتي، وبالتالي فإن «الصوم الانتظار» يجد كماله وتحقيقه في سر الأسرار، في الإفخارستيا، حيث نحيا ونختبر مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني الممجّد معاً. وبالتالي تصبح

أمامهم.

«فإن مصارعنا ليست ضد دم ولحم بل ضد الرئاسات ضد السلاطين، ضد ولاة العالم عالم ظلمة هذا الدهر، ضد أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦: ١٢).

في السماويات أي من أجل الخيرات السماوية. بعد تحذيرهم من نوع المصارعة، يحثهم على الحصول على الجوائز. ماذا فعل حتى الآن؟ بعد أن قال إن أعداءنا أقوياء، يضيف أنهم يحرموننا خيرات كبيرة. ما هي هذه الخيرات؟ الحرب قائمة في السماويات. الصراع ليس من أجل المال ولا من أجل المجد بل من أجل العبودية. لذلك تبقى العداوة لا رجوع عنها. الخصام والمعركة شديداً عندما يكونان في سبيل خيرات كبيرة، لأن «في السماويات» قيلت بدل من أجل السماويات. لا لأجل حصولهم على جوائز عند غلبتهم وظفرهم، بل لأجل حرماننا من الجوائز، وكأنه يقول: العهد يكون من أجل غاية معينة. كلمة «في» تعني «من أجل» وهي نفسها تعني «بواسطة».

القديس يوحنا الذهبي الفم

الكنيسة، رمزياً، الملكوت أثناء القداس الإلهي. لهذا فإن القداس الإلهي يفتح بعبارته «مباركة هي مملكة الأب والإبن والروح القدس...». ندخل إلى الملكوت ونشارك في المائدة المسبانية وفي آخر القداس يعلن الكاهن «لنخرج بسلام». أي لنخرج من الملكوت ونعود إلى العالم لكي نشهد للناس بما سمعنا ونظرنا وبما تذوقنا وحيينا.

إذا، كما كان يوحنا المعمدان - العهد القديم - يصوم متوقفاً مجيء المسيا المخلص وانتهى الصوم مع تجسد الرب يسوع، هكذا فإننا نصوم بعد صعود العريس إلى السماء متوقعين ومنتظرين مجيئه الثاني المجيد، ولا يكسر هذا الصوم إلا القداس الإلهي حيث يحضر الرب يسوع بكليته، ففي الإفخارستيا يُعطى لنا أن نتذوق مسبقاً والآن نطعم الملكوت الآتي حيث الرب هو الكل في الكل. الإفخارستيا تحقيق مسبق لمائدة الملكوت. والتوقع يسبق التحقيق. من هذا المنظور، إن الصوم الإفخارستي ليس مجرد إمتناع عن الطعام قبل المناولة، بل هو حالة توقع وانتظار وتهيئة روحية. إنه صوم بالمعنى الكتابي أعلاه، انتظار للمجيء الثاني الذي نتذوقه في الإفخارستيا.

من أقوال البار

بورفيروس الرائي

لقد تأثرت جداً اليوم. لقد أتى إلى الدير ذوو «تاسو» بألم كبير طالبين تعزية؛ قبل أيام، فقدوا ابنتهم البالغة من العمر عشر سنوات؛ بينما كانت تلعب في البحر، انزلقت ووقعت. قلت لهم كل ما أنارني به الله: «إن أحكام الله عميقة جداً. نحن لا نعرف شيئاً؛ نعرف فقط ما نراه. وجد الرب هذه الطريقة ليدعو «تاسو» إلى السموات.

أخذها هكذا ملاكاً صغيراً، طيبةً في كل شيء. وبما أن هذه هي إرادة الله، فليس بمقدورنا سوى أن نقول: «لتكن مشيئتكم» (الصلاة الربية متى ٦: ١٠)، «الرب أعطى والرب أخذ. فليكن اسم الرب مباركاً» (أيوب ١: ٢١). كونوا أكيدة أن المسيح سيقم «تاسو» في اليوم الأخير. لو عاشت هنا على الأرض، كانت ستعاني مثلنا وتقع في الخطيئة. أما الآن، فقد ذهبت كملك صغير لكي تكمل طغمة الملائكة الذين سقطوا. يا ربّي يسوع المسيح ارحمني.

انسوا كل شيء! فقط اذكروا «تاسو» في الصلاة؛ وكلما تذكرتموها، ستتجه نفوسكم أكثر، بواسطة الصلاة نحو السماء. وشيئاً فشيئاً ستمتلئ نفوسكم بالخيرات. بينما، بغير هذه الطريقة، ستحصدون سيئات كثيرة نفسياً وجسدياً. لقد تعبتم وتألتم، فإن الله سيبارك نفوسكم وستسرون لعلمكم أن «تاسو» بجانب المسيح. الله سيرحمنا وسيعطينا القوة لنصبح أكثر صلاحاً.

عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٥ كانون الأول ٢٠٠٧ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرافية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb